الآداب | مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508

العدد السادس عشر 16
ديسمبر 2022

OPEN ACCESS

تجليات القوة والضعف في قصيدة (مصابي جليل) لأبي فراس الحمداني
دراسة أسلوبية

د. الشيماء محمد الفرهود*
a.alfrhod@uoh.edu.sa

تاريخ الاستلام: 2022/07/24م	تاريخ القبول: 2022/09/15م

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن تمظهر القوة والضعف في قصيدة (مصابي جليل) لأبي فراس الحمداني، في ضوء المنهج الأسلوبي الإحصائي؛ وذلك بتقصي أثر هذه الثنائية على مستويات بناء القصيدة إيقاعيا ومعجميا ونحويا ودلاليا. تتكون الدراسة من مدخل لبيان مفهوم الدلالة، والقوة والضعف، وثلاثة مباحث: المبحث الأول: تجليات القوة والضعف على المستوى الإيقاعي، ويشمل الإيقاع الخارجي: البحر، والقافية. والإيقاع الداخلي، ويشمل: التكرار، والطباق، والجناس. المبحث الثاني: تجليات القوة والضعف على المستوى المعجمي والتركيبي: ويشمل: أولا: المعجم، ثانيا: التركيب النحوي، ثالثا: التركيب الأسلوبي. المبحث الثالث: تجليات القوة والضعف على المستوى الدلالي، ويشمل: التشبيه، والاستعارة، والكناية، ثم خاتمة بأهم النتائج التي منها: كان لتوظيف الإيقاع الداخلي ممثلا في التوازي و التكرار بأنواعه أثر في الكشف عن دلالتي القوة والضعف، وجاء معجم (الأسْر) للدلالة على الضعف، والمعجم الحربي للدلالة على القوة، كما أن للصور البيانية دورًا بارزًا في الكشف عن ذلك.

الكلمات المفتاحية: الضعف، القوة، أبو فراس، قصيدة (مصابي جليل)، الأسلوبية.

* أستاذ البلاغة والنقد المساعد - قسم اللغة العربية - كلية الآداب والفنون - جامعة حائل - المملكة العربية السعودية.

للاقتباس: الفرهود، الشيماء محمد، تجليات القوة والضعف في قصيدة (مصابي جليل) لأبي فراس الحمداني - دراسة أسلوبية، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، كلية الآداب، جامعة ذمار، اليمن، ع16، 2022: 550-587.

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

العدد السادس عشر 16
ديسمبر 2022

مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
(EISSN: 2708-5783 ISSN: 2707-5508)

OPEN ACCESS

Strength and Weakness Implications in Abu Firās Al-Hamadānī's Poem (Muṣābī Jalīl): A Stylistic Study

Dr. Al-Shaimaa Mohammed Al-Farhoud*

a.alfrhod@uoh.edu.sa

Received: 24-07-2022	Accepted: 15-09-2022

Abstract

This study aims to identify some manifestations of strength and weakness in Abū Firās al-Ḥamadānī's poem (Muṣābī Jalīl) from a stylistic perspective at the rhyming, lexical, structural and semantic levels. The study is organized into an introduction and three sections. The introduction defines the concepts of implication, strength and weakness. The first section deals with aspects of strength and weakness at the rhyming level both externally in terms of rhythm and rhyme and internally with reference to repetition, alliteration, assonance and consonance. The second section addresses the points of strength and weakness at the lexical and structural level including lexical, syntactic and stylistic forms and structures., The third section focuses on strength and weakness implications at the sematic level in terms of simile and metaphor. The study concluded that internal rhythmic repetition was instrumental in identifying strength and weakness implications. *Al-Asr Lexicon* signified weakness aspects, while *Al-Harbi Dictionary* did for strength implications. Rhetorical images played a crucial role in identifying strength and weakness implications in the poem under study.

Keywords: Weakness, Strength, Abū Firās, (Muṣābī Jalīl) poem, Stylistics.

* Assistant Professor Rhetorics and Criticism, Department of Arabic, Faculty of Arts, Haa'el University, Saudi Arabia.

Cite this article as: Al-Farhoud, Al-Shaimaa Mohammed, Strength and Weakness Implications in Abu Firās Al-Hamadānī's Poem (Muṣābī Jalīl): A Stylistic Study, Journal of Arts for linguistics & literary studies, Faculty of Arts, Thamar University, Yemen, issue 16, 2022: 550 -587.

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

المقدمة:

أبو فراس الحمداني شاعر وأمير وفارس، غير أنه لم يحالفه الحظ مع ابن عمه سيف الدولة، فلقي من ضروب الخيبة ما جعله يبث همومه وآلامه بين أبيات قصائده، ومع هذه النفس البائسة فإننا نلمح لديه مظاهر القوة من مثل حسن ظنه بالله عز وجل وصبره على ما أصابه، وإرجاع كل ذلك لقضاء الله تعالى وحثه لأمه على الصبر، ورجائه لابن عمه في تخليصه من ذلك الأسر والألم، من هنا جاءت هذه الدراسة لتكشف عن دلالتي القوة والضعف في قصيدة (مصابي جليل).

وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الأسلوبي الإحصائي؛ وذلك بتقصي أثر هذه الثنائية على مستويات بناء القصيدة إيقاعيا ومعجميا ونحويا ودلاليا.

ويأتي هذا البحث ليجيب على عدة تساؤلات منها:

ماذا نعني بالقوة والضعف؟

كيف تمظهرت القوة والضعف في قصيدة (مصابي جليل) لأبي أبي فراس؟

أما الهدف من الدراسة فيتمثل في الكشف عن تمظهر القوة والضعف في قصيدة أبي فراس (مصابي جليل)، على مستوى الإيقاع والمعجم والتركيب والدلالة.

تتكون الدراسة من مدخل لبيان مفهوم القوة والضعف، وثلاثة مباحث: المبحث الأول: تجليات القوة والضعف على المستوى الإيقاعي، ويشمل الإيقاع الخارجي: البحر، والقافية والإيقاع الداخلي، ويشمل: التكرار والطباق، والجناس، المبحث الثاني: تجليات القوة والضعف على المستوى المعجمي والتركيبي: ويشمل: أولا: المعجم، ثانيا: التركيب النحوي، ثالثا: التركيب الأسلوبي، المبحث الثالث: تجليات القوة والضعف على المستوى الدلالي، ويشمل: التشبيه، والاستعارة، والكناية، ثم خاتمة توجز أهم النتائج.

أما الدراسات السابقة فهناك دراسات عديدة تناولت شعر أبي فراس الحمداني بصورة عامة، لكنها لم تتطرق إلى دلالتي القوة والضعف في قصيدة (مصابي جليل) عدا دراسة واحدة بعنوان: القوة والضعف في شعر أبي فراس الحمداني، من إعداد: باسم ناظم سليمان، لكن دراسته تختلف

عن دراستي منهجًا ومضمونًا، حيث تناول القوة والضعف في قصيدتي (ولما ثار سيف الدين ثرنا) و(أيا أم الأسير)، كما أن منهج دراستي لقصيدة (مصابي جليل) هو الأسلوبية الإحصائية، وهذا بطبيعة الحال اختلاف جذري، فدراستي تأتي متممة لتلك الدراسة.

مدخل:

مفهوم الضعف:

الضعف لغة: ضد القوة، وبالضم الضُعْفُ في البدن[1].

الضعف اصطلاحا: هو عدم القدرة على تحمل الصعاب والتكيف مع الظروف حيث يكون الخضوع والاستسلام والانهزام، والذي يتسم بهذه الصفات يوصف بالضعيف، والضعيف ضد القوي، والضعيف من الكلام ما انحط عن درجة الفصيح[2].

مفهوم القوة:

القوة لغة: تدل على الشدة وهي خلاف الضعف، والقويّ خلاف الضعيف، وأصل ذلك من القُوى، وهي جمع قوة من قوى الحبل[3].

القوة اصطلاحا: القوة مبدأ الفعل سواء كان بشعور أو إرادة أم لا، وهي إما مادية كقوة الانفجار، وإما معنوية كقوة الفعل[4].

السياق العام للقصيدة:

قال أبو فراس الحمداني هذه القصيدة، وهو أسير لدى الروم، حيث كان يحارب في جيش ابن عمه سيف الدولة، لكن سيف الدولة أبطأ في فدائه، فأثقلته الجراح، فما كان منه إلا أن كتب بها إلى والدته يعزيها[5].

القصيدة من حيث المضمون عزاء جميل يعزي بها نفسه ويسليها ليمدها بالقوة أمام الضعف الذي حلَّ به من أثر الأسر والجراح والخذلان والفراق والاشتياق.

والقصيدة تنتظم في أربعة سياقات:

1 الاعتراف بالضعف أمام قوة الجراح وقسوة الحياة. من البيت 1-7

2 جفاء الأصدقاء وتخاذل الإخوان. من البيت 8- 15

3 حثه لأمه المكلومة على الصبر. من البيت 16- 31.

4 الرضا والتسليم بقضاء الله و قدره. من البيت 32-40.

ومع قيام القصيدة على هذه اللوحات المتعددة فإن جميع أجزائها تدور حول دلالتي الضعف والقوة، التي تنساب ما بين أبياتها.

المبحث الأول: تجليات القوة والضعف على المستوى الإيقاعي

1 الإيقاع الخارجي

ونعني بالإيقاع الخارجي وحدة النغمة المتكررة على نحو ما في الكلام، أو في البيت، فنعني بها توالي الحركات والسكنات على نحو منتظم في بيت أو أبيات من الشعر أو فقرة من الكلام [6]. ويتكون الإيقاع الخارجي من الوزن و القافية.

وبالنظر في الإيقاع الخارجي لقصيدة (مصابي جليل) وصلته بالقوة والضعف يتضح الآتي:

تشكلت القصيدة وزنيا على بحر الطويل لانسجام موسيقاه، وطول النفس فيه ينسجم مع تدفق الألم والمعاناة التي يعيشها، وامتداد الصراع النفسي العنيف بين الوقوع ضحية ذلك الأسر وتخلي الأصحاب عنه، وبين الصبر والتجلد من أجل والدته، فالشاعر أجاد اختيار هذا الوزن؛ للدلالة على ضعفه حيث أعطاه القدرة على التعبير عن خلجات نفسه، وأحزانه وآلامه في الأسر، "فهو أطول الشعر"[(7)].

وكان أبرز مكون في القافية هو روي اللام المضمومة، واللام حرف متوسط بين الشدة والرخاوة لثوي جانبي[(8)]، حيث يعني انفلات الهواء من جانبي الفم أو من كليهما، فيتصل طرف اللسان بأصول الثنايا العليا وبذلك يحال بين الهواء ومروره من وسط الفم فيتسرب من جانبيه[(9)]، فكأن بالأمل يتسرب إلى قلب أبي فراس ليجدد القوة بعد الضعف؛ وذلك باللجوء إلى الله والتوكل عليه، ليستمد القوة منه -سبحانه وتعالى- بعد أن سُدت في وجهه كل الدروب وضاقت عليه الدنيا بما

رحبت، لينفلت من ذلك الحزن والألم والضعف باحثا عما يقويه وهو توكله على الله -ﷻ- والرضا بقضائه.

2- الإيقاع الداخلي

هو نظام يتمثل في البناء الداخلي للقصيدة، أو في نسيجها الصوتي فهو حركة مستترة كثيرا ما تظهر في الصور المتشاكلة المكررة المنسجمة مع حركة القصيدة وفكرتها[10]. وينتظم الإيقاع الداخلي في التكرار والتوازي والجناس.

وقد برز في قصيدة مصابي جليل عدد من ظواهر الإيقاع الداخلي أهمها:

1 التكرار

التكرار: هو شكل من أشكال الاتساق المعجمي يعتمد على إعادة عنصر معجمي، أو ذكر مرادفه، أو شبه مرادفه[11].

ويعد التكرار من الوسائل اللغوية، فتكرار بعض الحروف أو الألفاظ يأتي ليعبر عن المشاعر المسيطرة على الشعر فتخرج ما بنفس الشاعر، فالتكرار يؤدي دوره في الكشف عن شعور الشاعر.

ويتحقق التكرار بمستويات منها: الحرف، الكلمة، التركيب، وكلها تتآزر لتكشف لنا عن مشاعر الشاعر وتستنطق لنا تلك المعاني الدفينة من ورائها.

1/ تكرار الحروف: لتكرار الحرف أو الصوت في الشعر أثر بالغ الأهمية في إحداث التأثيرات النفسية للمتلقي، فتكرار حرف من الحروف عند الشاعر يمكن أن يعبر عن مشاعره وأحاسيسه.

ومن ذلك تكرار أصوات المد (الواو)، (الياء)، (الألف) ليعبّر مرة عن ضعفه من خلال بثه لألمه وحزنه، ومرة يعبّر بها عن قوته كاختياره لوقت الصباح وحسن ظنه بالله عز وجل ومناصحة والدته بالتحلي بالصبر والثبات وغير ذلك مما سبق، فنرى صوت (الياء) يتكرر بشكل لافت (جليل، جميل، يديل، دامي، عليل، دخيل، أقاسيه عصيبة، قليل، بخيل... إلخ).

كما نلحظ تكرار صوت (الواو): (حمول، مخوفة، نجومه، يزول، تطول، تحول، رسول، خيول...)، أما الألف فكان لها النصيب الأعظم من تلك القصيدة، ليعبّر عن مشاعره الممتدة بامتداد

ذلك الصوت (العزاء، جراح، اشتياق، الصباح، صالح، باد، تحاماها، أقاسيه، أمتا، تناساني، دعواهم، النعماء، صاحبي...).

فحروف المد من المعروف أنها تأخذ زمنًا أطول من الحروف الأخرى عند النطق بها، " وهذا الأمر يعطيها قدرة على التلون الموسيقي؛ بحيث تمنح المتلقي لحونًا مختلفة، وتأثيرات نفسية متنوعة، وتخلق نوعًا من الانسجام بين الموسيقى والحالة النفسية للمبدع"[12].

كما وظف الشاعر تكرار حرف اللام كما في قوله: (جليل يديل تحول قليل خليل صالح أحمّل ليل بخيل خل ظللت تميل...) حيث أسهم تكرار هذا الحرف في الدلالة على توجع الشاعر وألمه الدائم.

كذلك تكرار حرف السين (أسر أقاسيه تناساني سقمان يسرك سواد النفس السماك مسلك...) الذي أسهم في تصوير مدى حسرة الشاعر وبؤسه الذي لازمه إلى أن توفاه الله عز وجل .

2 / تكرار الألفاظ: يوظف أبو فراس تكرار بعض الألفاظ للكشف عن معاناته وآلامه، حيث كرر في قصيدته لفظة (الأسير) بهدف إبراز معنى الحزن والأسى والظلم الذي وقع تحت وطأته، وهنا تأكيد لمعنى الضعف، كما أدى تكرار لفظة (الأم) مسبوقة بالنداء إلى الكشف عن نقطة ضعفه وبؤرة ألمه وحزنه، وغيرها من الألفاظ المكررة مثل (طويل، جراح) التي جاءت لتؤكد ضعف الشاعر أمام قسوة الحياة.

وبالمقابل يكشف لنا التكرار عن دلالة القوة وذلك بتكرار لفظتي (جميل، صبر)، كما جاء التكرار للفظ الجلالة (الله) ليشعر المتلقي بالعظمة وبصدق التوكل على الله ﷻ ليحميه ويعزه وينصره على أعدائه، وهذه القوة المستمدة هي لمواجهة تلك الجراح. وفي تكرار (الجليل) دلالة على الأمر العظيم ليقرر ويؤكد أن ما أصابه إنما هو أمر عظيم لا يقوى على تحمله بشر، فهو بذلك قوي لتحمله تلك المصائب والصعاب.

كما نجد التكرار في قول الشاعر:

وإن هـو لـم ينصـرك لـم تلـق ناصـرا وإن جـــل أنصـــار وعـــز قبيـــلُ

هنا تظهر دلالة القوة، وذلك بإرجاع كل أمر يصيب الإنسان إلى الله عز وجل فقد وظف الشاعر الترديد لبيان ذلك المعنى حيث كرر (لم ينصرك) (ناصرا) (أنصار)، وهذا التكرار جاء عفو الخاطر غير متكلف، خادمًا للمعنى.

3/ التكرار التركيبي

إذا كان للصوت وللفظ المكرر جمال واضح وإيقاع عذب، وإثراء للمعنى، حيث يعمق من دلالات النص، فإن للتكرار التركيبي أثره في النفس، حيث إن الفقرات الإيقاعية المتناسقة تكسب القصيدة لمسات عاطفية ووجدانية، كما أن تكرار المفردات يحدث تفريغا جميلا تصاحبه الدهشة والمفاجأة، مما يؤدي بالقراء إلى التأمل الفاعل النشط[13]، وهذا مما نلحظه من خلال التكرار التركيبي في قصيدة أبي فراس، فمن ذلك تكرار نداء الشاعر لأمه في قوله:

فَيـا أُمَّتـا لا تَعـدَمي الصـبرَ إنّـه إلى الخَيـرِ وَالـنُجحِ القَريـبِ رَسـولُ
وَيـا أُمَّتـا لا تُخطِئي الأَجـرَ إنَّـه عَلـى قَـدَرِ الصَـبرِ الجَميـلِ جزيـلُ

يتوجه الشاعر إلى موطن الدفء والحنان والرحمة بعد أن تناساه أصحابه، وبعد أن ذاق الألم والحزن والقهر ببعده عن والدته؛ ليتقوى بثبات أمه وبث روح الصبر لديها على فراقه، يسدي لها النصح بلين ورفق، فعمد إلى التكرار الاستهلالي (يا أمتا) وهي عبارة تدل على قرب المسافة بين المنادى والمنادي، وقوة العلاقة بينهما، تلك العلاقة المشوبة بالحب القائم بين الابن البار ووالدته، تلاها أسلوب النهي الذي أدّى غرض النصح (يا أمتا لا تعدمي، يا أمتا لا تخطئي)، حيث فتح هذا التكرار فسحة زمنية متسارعة إن لم يستغلها الشاعر هلك.

فالنهي (لا تعدمي، لا تخطئي) لا يسمح للمنادى بالتأني والتريث، وقد آزره أفعال الأمر مثل (تأسي، كوني) التي تدعو أمه إلى الصبر والاقتداء بذات النطاقين، بغية الفوز بالآخرة، والاجتماع بالحبيب مرة أخرى (الابن)، هذا التكرار الاستهلالي لأسلوب النداء لم ينبه به الشاعر فقط والدته إلى ما يجب عليها الإسراع به، وإنما نبه به المتلقي إلى أن يأخذ بنصائحه لوالدته كي يبث في روحهم القوة المتمثلة بالصبر وعدم اليأس والحزن الذي هو بؤرة الضعف، فالتكرار لصيغ النداء في هذين البيتين ما كان إلا تجسيدًا لإيقاعات متعددة متضافرة (إيقاع صوتي ودلالي ونفسي) أدت أغراضها الرئيسة.

كما يأتي تكرار الشرط في قوله:

وَمَـــن لَـــم يُـــوَقِّ اللهُ فهـــو ممـــزق وَمـــن لَـــم يعِـــزِّ اللهُ فهـــو ذليـــل

وَمـــن لَـــم يُـــرِدهُ اللهُ فـي الأمـــر كلـــه فَلَـــيسَ لِمَخلـــوقٍ إِلَيـــهِ سَـــبيلُ

وإن هـــو لـــم يـــدللك في كـــل مســـلك ضـــللتَ، ولـــو أن الســـماك دليـــل

إذا مـــا وقـــاك الله أمـــرا تخافـــه فمـــا لـــك ممـــا تتقيـــه مقيـــلُ

وإن هـــو لـــم ينصـــرك لـــم تلـــق ناصـــرا وإن جـــل أنصـــار وعـــز قبيـــلُ

وإنَّ رجائيـــه وظنـــي بفضـــله علـــى قُـــبحِ مـــا قدمتـــه – لجميـــلُ

4/ التوازي

وهو عبارة عن تماثل قائم بين طرفين من السلسلة اللغوية نفسها، وقد فسر ذلك بأن هذين الطرفين عبارة عن جملتين تكون العلاقة بينهما متينة، تقوم إما على أساس المجانسة، أو على أساس التضاد[14].

نجد أن أبا فراس قد وظف التوازي بنوعيه التام والجزئي في هذه القصيدة من خلال ظاهرة التكرار توظيفًا دلاليًا وإيقاعيًا، لتتجلى لنا من خلاله دلالتا القوة والضعف.

التوازي التام: ويتحقق بتكرار البنية النحوية على نحو تام في طرفي البيت الشعري أو الأبيات المتتالية. فمن ذلك قوله:

وَمـــن لَـــم يُـــرِدهُ اللهُ فـي الأمـــر كلـــه فَلَـــيسَ لِمَخلـــوقٍ إِلَيـــهِ سَـــبيلُ

وَمَـــن لَـــم يُـــوَقِّ اللهُ فهـــو ممـــزق ومَـــن لَـــم يُعِـــزِّ اللهُ فهـــو ذليـــلُ

تشكلت بنية التوازي في هذا البيت الشعري من خلال تعادل وحدات الشطر الأول مع وحدات الشطر الثاني:

أداة شرط (من) + جملة فعل الشرط المجزوم + جملة جواب الشرط الاسمية المقترنة بالفاء.

فتتحد هذه البنية التركيبية النحوية في هاتين الجملتين المتوازيتين لتضفي على البيتين نوعا من الإيقاع الداخلي أسهم في التأثير على السامعين.

كما جاء التوازي لتحقيق وظيفة دلالية، إذ قامت المتوالية الأولى بعرض دلالة لكنها كانت ناقصة، فأتمت المتواليتان الثانية والثالثة الدلالة (دلالة التأليف أو التركيب)، ففي المتوالية الأولى من لم يحفظه الله فهو هالك فالقوة مع الله ﷻ ، ثم تأتي المتواليتان الثانية والثالثة لتستكملا دلالة القوة، فالعزة مع الله عزو جل فكل أمر المؤمن بيد الله تعالى ، وهنا يبرز معنى القوة فالأمر كله صغيره وكبيره إنما هو بيد الله عز وجل ، ليس لمخلوق دخل فيه، وتمثل لفظة (المخلوق) جانب الضعف حيث فضّلها على لفظة الإنسان، فالضعف كائن في أصل الخلقة، فقد ذكر ذلك ربنا ﷻ في قوله تعالى : (وخُلق الإنسان ضعيفا) (النساء، 28)، والشاعر في اختياره لهذا النمط (التوازي) من بقية أنماط التعبير إنما يبحث عن النمط الأكثر تعبيرا عما يريد قوله.

وهذا النوع من التوازي يعرف ب (الرأسي أو العمودي) وهو ما كان على مستوى بناء القصيدة.

أما التوازي الأفقي وهو ما كان على مستوى بناء البيت الواحد، فيتمثل في قوله:

فإمـــا حَيَـــاةٌ فـــي فنـــاهُ عزيـــزَةٌ وإمَّـــا مَمَـــاتٌ فـــي ذُرَاهُ جَميـــلُ[15]

اعتمد التوازي هنا على أساس تركيبي مكون من مبتدأ مسبوق ب(إما) + خبر (جملة اسمية) ففي المتوالية الأولى: حياة (مبتدأ)، (في فناه عزيزة) خبر جملة اسمية، وفي المتوالية الثانية: ممات (مبتدأ)، (في ذراه جميل) خبر جملة اسمية. لقد تساوت المتواليات تركيبيا ما أدى إلى خلق تواز نحوي، كما تماثلت في مواقع متوازنة بأدائها الوظائف النحوية نفسها .

لقد خلق التوازي انسجاما بين المتواليات وأسهم في وحدتها وترابطها واعتمد في ذلك على دلالة التأليف أو التركيب وعلى التماثل. فالشاعر يبحث عن حياة فيها العزة و الكرامة، حياة يشعر فيها

بالقوة ليست كحياة الذل والضعف، فهذا التوازي جاء ليضفي دلالة القوة، وذلك باستغلال ما في التوازي من طاقة تأثيرية تناسب الرسالة التي يبتغي إيصالها إلى المستمعين بأن لا يرضوا بالذل والإهانة مهما غلبتهم الظروف وتحدتهم الصعاب.

5/الطباق والجناس

الطباق: هو الجمع بين الشيء وضده في الشعر أو النثر[14]. وقد وظف أبو فراس الطباق توظيفا متوافقا مع معنى الضعف والقوة في قصيدته، حيث طابق بين لفظتي: (باد، دخيل) ليدل على ضعف الشاعر، فليس الألم واحدًا وإنما هو ألمان يعتصران قلبه وجسده، لتصوير أثر الحبس على نفس الشاعر سواء داخليا أم خارجيا.

وقوله:

تَطولُ بِيَ الساعاتُ وَهيَ قَصيرَةٌ وَفي كُـلِّ دَهــرٍ لا يَسُــرُّكَ طــولُ

جاءت ألفاظ هذا البيت لتعبر عن مرارة الشاعر وحزنه الشديد، حيث تطول به الساعات مع قصرها، ومن خلال هذا التقابل اللفظي الصريح تتبين المفارقة العجيبة، فرغم قصر تلك الساعات فإنها طويلة، فهذا الطباق جاء ليزيد الألم حدة، وهنا وظف الشاعر تلك الألفاظ لتعبر عن الضعف (تطول، دهر) حيث تحمل كثيرا من الشكوى والألم وتصور واقعه أحسن تصوير.

كما وظف الشاعر الطباق بين لفظتي (كثرت قليل) فالأصحاب مهما كثرت دعواهم وأنهم على الوفاء لكنهم في الحقيقة قليلون، فالطرف الأول يمثل الصدق والوفاء بادعائهم، أما الطرف الثاني فيمثل الخيانة والغدر والجفاء، فمهما ادعوا الخير والوفاء فإن الشر يتغلب بكثرة الخونة، وهذا التقابل عند أبي فراس تقابل معنوي يعتمد عليه اعتمادا واضحا ليبرز من خلاله مدى حسرته ومعاناته في الأسر من غدر الإنسان وتبدل أحوال من كانوا حوله من الأصدقاء، فجاء هذا الطباق ليسهم في بيان ضعف الشاعر.

وما زال الشاعر يتعجب من الأصحاب وغدر الزمان حيث يقول:

فكل خليل هكذا غير منصف ! وكل زمان بالكرام بخيل!

فالشاعر ينظر بنظرة اليأس لكل من الصديق والزمان، فالصديق خائن والزمان غادر، فالشاعر يوظف في هذا البيت الصورة التقابلية بين الكرم والبخل، حيث طابق بين الكرم والبخل للدلالة على تأكيد المعنى وهو بخل الزمان بالأصحاب الأوفياء، فالطباق هنا جاء لتقوية ذلك المعنى في نفوس المتلقين؛ لأن الأشياء بأضدادها تُعرف.

فالخليل والزمان مجتمعان على خيبة أمل الشاعر وعلى إلحاق الحسرة والألم والحزن به، فالشاعر من خلال هذا التقابل نجد أنه قد عبَّر عن ضعفه في هذا البيت، فرغم وجود الكرام فإن الزمان بخيل بهم.

وفي قوله:

نَعَم دَعَتِ الدُنيا إلى الغدر دعوة أَجـــابَ إِلَيهـــا عـــالم وجهـــول

نجد أن الشاعر استخدم الطباق بين (عالم) و(جهول) فالدنيا قد دعت إلى الغدر والجميع استجاب لدعوتها: العالم بها والجاهل، مما يجلب للشاعر الحزن والألم والحسرة، فهذا الطباق يدل على مدى ضعف الشاعر، وقوة الدنيا باستجابة الجميع لها وامتثال أمرها وهو الدعوة إلى الغدر. فهذا البيت جمع بين دلالتي الضعف والقوة.

لقد أدار أبو فراس كثيرا من مقابلاته على المعاني المتناقضة، التي يؤمن بامتزاجها وتفاعلها، من حيث قيام كثير من مظاهر الحياة وعلاقاتها على أساسها، ومن ثم كانت مقابلته في الغالب تتشكل بالاعتماد على المخالفة بين المعاني والأفعال المتناقضة، ليبرز ويقوي كلًّا من معاني الضعف والقوة[16].

كما وظف الشاعر التضاد بين لفظتي (يعز) و(ذليل) وإذا بحثنا عن السر وراء هذا التضاد نجده استجابة لضرورة نفسية، وهي: وضع صورة لمعاناة الشاعر ومأساته، فالتضاد إنما غرضه إحداث تأثير في نفس المتلقي، يتسم بالفورية؛ لأن هذه البنى المتضادة بسيطة غير متكلفة لا تحتاج إلى مزيد من إعمال الفكر والعقل في إدراك دلالتها، ومع ذلك فمجيء الطباق ليس عبثًا يمكن الاستغناء عنه، فالموقف يستدعيه ويطلبه وهو تأكيد على أن العزة بالله، وحاجة الشاعر إليها، ورفض الذل لمخلوق مهما كان شأنه بالنسبة إليه.

كما نجد الشاعر يوظف الجناس للدلالة على القوة والضعف، حيث جانس بين لفظتي (مسلك، السماك) فكلمة (السماك) في الشطر الثاني تتكرر فيها بعض أصوات الكلمة (مسلك) في الشطر الأول، فتكرار الميم والسين والكاف، وما تشابه من أصوات اللفظتين نجد أنهما تعودان إلى جذرين مختلفين، وبينهما مفارقة في المعنى ،ف (مسلك) هنا بمعنى الطريق، وسلك المكان دخله ونفذ فيه[17]، والسماك ومثناه السماكان: نجمان نيران، أحدهما في الشمال، ويعرف ب(الرامح) والثاني في الجنوب، ويعرف ب(الأعزل)[18].

وهذا التكرار الصوتي مع اختلاف المعنى أسهم في تعميق أثر هاتين الكلمتين وتأكيد مركزيتهما في البيت، فالشاعر يريد أن يثبت فكرة أن الإنسان إذا سلك طريقًا وكان النجم النير وهو السماك دليله، إن لم يرد الله هدايته للطريق الصحيح فلن يهتدي، فكل شيء مرجعه لله عز وجل وهنا تتجلى معاني القوة، فالإنسان إنما هو ضعيف أمام إرادة الله ﷻ فهذا التجانس بين الكلمتين عمل على تأكيد دلالتهما، وما يرتبطان به من وظائف نفسية.

ونجد أن الشاعر آثر فن الطباق بين لفظتي (يدللك) و(ضللت) للدلالة على الضعف والقوة، من خلال الجمع بين الضدين فقد ألبسهما ثوبًا واحدًا مما فتح طريقًا للعقل للجمع بين الشتات والربط بين المتضادين ومعرفة علاقة ذلك وأثره على النفس.

المبحث الثاني: تجليات القوة والضعف على المستوى المعجمي والتركيبي

1 المعجم

هو الوسيلة للتمييز بين أنواع الخطاب وبين لغات الشعراء، فهو عبارة عن كلمات منتقاة تكون مفاتيح للنص أو لمحاوره التي يدور عليها[19].

وبالنظر في قصيدة أبي فراس نجد أن المعجم المهيمن على قصيدته يدور حول القوة والضعف (جراح اشتياق غربة أحمل دامي سقمان...) وما ينطوي تحته من ألفاظ الحزن والمعاناة والألم وكلها تخدم دلالة الضعف وتزيده توضيحًا.

يتضح معجم القوة والضعف في قصيدة أبي فراس منذ مطلعها:

مُصـــابي جَليـــلٌ وَالعـــزاءُ جَميـــلُ وَظَني بِـأَنَّ الله سـوف يُـديلُ

ليعترف بالضعف أمام قسوة الأيام، والأحداث من غربة واشتياق، وجراح وآلام، وأسر وظلم، وقهر، ومع هذا الضعف يبقى قويًا في تحمله لتلك الصعاب أكثر مما يتحمله غيره من البشر.

ف(الجليل) جاءت لتحمل دلالة العظيم، فالجليل: أمر عظيم خطير، مهم، وبه يوصف الأمر العظيم والرجل ذو القدر الخطير[20].

ثم يأتي مقابل ذلك الضعف ما يقوي عزيمته ويصبّره على تلك الظروف والجراح، وهو أن عزاه جميل، فدلالة (الجميل) هنا تعطي معنى القوة، حيث إن الشاعر في مقام المواساة لنفسه، لعل الله يغير حاله إلى أفضل حال، فحسن ظن الشاعر بالله يعطيه معنى القوة، كما أن يقينه بقرب مولاه عز وجل صهوة هذا العزاء أمام قسوة الحياة وتحديات التجارب.

فلفظة الجليل تحمل معنى الضعف والقوة معًا، الضعف المتمثل فيما أصابه من مصاب عظيم من أسر وجراح وفقد واشتياق، وخيبة أمل من الأصدقاء، لو اجتمعت على غيره لكسرت ظهره وقضت عليه، ومعنى القوة في كونه رجلا عظيما تحمل ما لا يقوى على تحمله بشر.

وأما لفظة (الجميل) فتحمل دلالة الأنس والرجاء وذلك بقرب الله عز وجل منه في محنته وشدته ومصابه، "فالجميل هو كل أمر محبب إلى النفس، ويبعث على الاغتباط بها، والجليل كل ما اشتمل على الوحشة في النفس، وحجب عنها جمال الحياة"[21].

ثم يأتي البيت الثاني المثقل بأنواع الضعف التي حلَّت به:

جراحٌ وأَسْرٌ، واشْتَيَاقٌ، وغُرْبةٌ أُحَمَّــلُ ! إنّــي، بَعْــدَهَا، لَحَمُــول

جراح، أسر، اشتياق، غربة كلها ألفاظ توحي بمرارة الشاعر وحزنه وألمه، فهي نقطة ضعفه التي أثقلت نفسه المتألمة، فلا شك أن مصابه عظيم وأن قلبه يعتصر ألمًا وحزنًا على فراقه لأهله وبلده، فالحنين إلى الوطن وإلى موطن الرحمة والعطف والحنان (أمه) من أعظم ما يُضعف الرجل القوي، ويكسر قوته.

وَإنّي في هَـذَا الصَّبَاح، لَصَـالحٌ وَ لَكـنَّ خَطْبي في الظَّـلَام جَليـل

نجد في هذا البيت امتزاجا بين القوة والضعف، القوة المتمثلة في الصباح وما فيه من معنى الضياء والإنارة، فالإنسان في الصباح يكون في كامل نشاطه وقوته، يستمد هذه القوة من أول النهار وهو إشراقة الصباح التي تعلن عن بداية يوم جديد يحمل البشائر والفأل الجميل، مما يدخل الأنس والطمأنينة على نفس الشاعر فيتقوى بذلك، فالصباح إنما هو رمز للقوة عند الشاعر.

وبالمقابل يظهر ضعفه تحت وطأة الليل وظلمته، ولكن خطبي في الظلام جليل، هنا استدراك من الشاعر ليبين مدى ضعفه في الليل، واختار من الليل ظلمته حيث تحمل دلالة الفزع والرهبة والخوف مجسدًا ذلك كله من خلال أحزانه وآلامه.

إن الشعور بالخوف من الأحاسيس التي طرقت فؤاد الشعراء لونٌ من ألوان المعاناة التي كان يرزح تحت وطأتها، فمن وظائف الظلمة البعث على الخوف؛ لما تجنيه من أخطار[22]، فالشاعر اجتمع في ليله جرح غائر، ووحدة قاتلة، وحزن ممتد، وغربة جعلته يعيش جو الخوف والرهبة من ذلك السواد الذي يحيط به من كل جانب، وكأنه وسط غابة قد أحاطت به السباع من كل جانب. وهنا يتجلى الضعف والوهن في أبهى صوره.

لذا قال: ولكن خطبي في الظلام جليل، فوصف خطبه بالجليل وهو العظيم، ونلحظ تكرار الجليل الدال على الأمر العظيم ليقرر ويؤكد أن ما أصابه إنما هو أمر عظيم لا يقوى على تحمله بشر، فهو بذلك قوي لتحمله تلك المصائب والصعاب، فالشاعر وظف المعجم الزمني ليبرز لنا القوة وذلك في الصباح، وفي الليل ليبرز جانب الضعف.

كما يبرز جانب القوة المتمثل في المعجم الحربي (سيوف صوارم فلول خضت سيف خيول) فهذه الألفاظ تمثل لنا جانب الفروسية والشجاعة التي عُرف بها أبو فراس، فرغم أسره فإنه ما زال يعيش جو الحرب فيخوض غمارها مع سواد الليل وكأنها خيول جامحة.

وفي ألفاظه التي تمثل القيم الأخلاقية الرفيعة ك"الصبر، الأجر، الخير، النجح، القريب، الجميل، الزمان، الموت، صبرًا، رسول، تزول..." نجد دلالة القوة فيها واضحة جلية، فأبو فراس رغم الظروف العصيبة التي مر بها والنوائب التي حلت به فإنه صابر متجلد.

والقوة لا تتمثل فقط في اختيار الألفاظ وإنما في إضافة الصبر للجميل، فلفظة الجميل زادت معنى الصبر قوة وبلاغة فهي اقتباس قرآني من قوله -عز وجل-: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلٗا ۝٥﴾ [المعارج: 5] كما أن الصبر يوحي بدلالات أخرى كالشجاعة وعزة النفس والإباء والكرم، وكلها تصب في دلالة القوة.

إذن، هذه الأبيات تمثل جانب الضعف في ندائه لأمه، مصدر الرحمة والعطف والحنان، وكذلك تكرار ذلك النداء، وتتمثل القوة في مواساته لوالدته ودعوتها للتحلي بالصبر، وفي اختياره لألفاظه الدالة على الصبر والتحمل، وهي أبيات تحمل القيم الأخلاقية الرفيعة.

فالشاعر قد وُفق في توظيفه لمعجمه الخاص في هذه القصيدة الدال على الألم والحزن وهو ما يمثل جانب الضعف المتمثل في معجم (الأسر)،كما وُفق في توظيف جانب القوة المتمثل في معجم الأخلاق السامية الرفيعة والمعجم الزمني المتمثل في الصباح.

2- التركيب النحوي

التركيب هو علم يُعرف به أحوال التراكيب العربية في الإعراب والبناء وغيرهما[23]، لذا حاول النحاة أن يفيدوا من الإمكانيات التركيبية في اللغة برصد التغيرات التي تصيب الجملة ووصفها بدقة، ولا شك في أن الاهتمام بالصياغة التركيبية يرجع أصلا إلى المعنى النحوي[24].

عند قراءة قصيدة أبي فراس نجد أن القصيدة تحوي جملًا اسمية وأخرى فعلية جاءت على النحو الآتي:

	الجمل الاسمية	الجمل الفعلية
1	مُصابي جَليلٌ	وَ مَا نَالَ مِنّي الأُسرُ ما تَرَيَانِهِ
2	العزاءُ جَميلُ	أَرى كُلَّ شَيءٍ غَيرَهُنَّ يَزولُ
3	جِراحٌ و أَسْرٌ	تَطولُ بِيَ الساعاتُ وَهيَ قَصيرَةٌ
4	وأشْتِيَاقٌ، وغُرْبةٌ	وَفي كُلِّ دَهرٍ لا يَسُرُّكَ طولُ
5	إنّي، بَعْدَهَا، لَحَمُولُ	تَناسانِيَ الأَصحابُ إِلّا عصيبَةً
6	وَإنّي في هَذَا الصَّبَاح، لَصَالحٌ	سَتَلحَقُ بِالأُخرى غَدًا وَتَحولُ
7	وَ لَكنَّ خَطْبي في الظَّلَامَ جَليلُ	أُقَلِّبُ طَرفي لا أَرى غَيرَ صاحِبٍ

8	لَكنَّني دَامي ألْجرَاحِ عَلِيلُ	يَميلُ مَعَ النَعماءِ حَيثُ تَميلُ
9	جِراحٌ تَحاماها الأُساةُ مَخوفَة	وَصِرنا نَرى أَنَّ المُتارِكَ مُحسِنٌ
10	وَسُقمانِ بادٍ مِنهُما وَدَخيلُ	أجاب إليها عالِمٌ وَجهولُ
11	وَأَسرٌ أُقاسيهِ	وَفارَقَ عَمروُ بنُ الزُبَيرِ شَقيقهُ
12	وَليلٌ نُجومُهُ أَرى كُلَّ شَيءٍ غَيرَهُنَّ يَزولُ	وَخَلّى أَميرَ المُؤمِنينَ عَقيلُ
13	إِنَّهُم وَإِن كثرت دعواهمُ لقَليلُ	أَقولُ بِشَجوي مَرَّةً وَيَقولُ
14	أَنَّ المُتارِكَ مُحسِنٌ وَأَنَّ صَديقًا لا يضرُّ خَليلُ	فَيا أُمَّتا لا تَعدَمي الصَبرَ
15	فَكلُّ خليلٍ هَكَذا غَيرُ مُنصِفٍ	وَيا أُمَّتا لا تُخطِئي الأَجرَ
16	وَكُلُّ زَمانٍ بِالكِرامِ بَخيلُ	تَأَسّي كَفاكِ اللهُ ما تحذرينه
17	وَإِنَّ وَراءَ السّتْرِ أُمّا بُكَاؤُهَا	فَقَد غالَ هَذا الناسُ قَبلَكِ غولُ
18	إِنَّه إِلى الخَيرِ وَالنُجحِ القَريبِ رَسولُ	وَلَم يُشفَ مِنها بالبكاء عليل
19	عَلى قَدَرِ الصَبرِ الجَميلِ جزيلُ	لَقيتُ نُجومَ الأُفقِ وَهيَ صَوارِمٌ
20	أما لَكِ في ذاتِ النِطاقَينِ أُسوَةٌ	وَ خُضتُ سَوادَ اللَيلِ وَهوَ خُيولُ
21	بِمكّةَ وَالحَربُ العوانُ تَجولُ	وَلَم أَرعَ لِلنفسِ الكريمة خلة
22	وَفيها وَفي حَدِّ الحُسامِ فُلولُ	وَلَكِن لَقيتُ المَوتَ حَتّى تَرَكتُها
23	فهو ممزق	وَمَن لَم يُوَقِّ اللهُ فهو ممزق
24	فهو ذليل	وَمن لَم يعِزِّ اللهُ فهو ذليل
25	فَلَيسَ لِمَخلوقٍ إِلَيهِ سَبيلُ	وَمن لَم يُرِدهُ اللهُ في الأمر كله
26	ولو أن السماك دليل	وإن هو لم يدللك في كل مسلك
27	وإن هو لم ينصرك لم تلق ناصرا	وإن جل أنصار وعز قبيلُ
28	وإنَّ رجائيه وظني بفضله	فما لك مما تتقيه مقيلُ
29	فظلك فيّاحُ الجَنَابِ ظَلِيلُ	عَسَاهُ وَ قَدْ أَحْسنْتُ ظَنّي بفَضْلِهِ
30	فإما حَيَاةٌ في فناهُ عزيزَةٌ	يَجُودُ بِتَخْلِيصِي لَكُمْ وَيُنِيل
31	وإِمَّا مَمَاتٌ فِي ذُرَاهُ جَمِيلُ	وما دَامَ سيفُ الدولةِ القرمُ باقيا

من خلال الجدول السابق يتضح التقارب بين الجمل الاسمية والفعلية، حيث بدأها الشاعر بجمل اسمية في قوله:

مُصابي جَليلٌ وَ العزاءُ جَميلُ وَظَني بِأَنَّ اللهَ سَوفَ يُديلُ

نجد الشاعر يعبّر عن الضعف والقوة وعن المصاب والعزاء باختيار الجملة الاسمية الدالة على الثبات والدوام؛ ليؤكد ما يجده في نفسه من قوة في تحمله لتلك الصعاب والظروف التي ربما لو أصابت غيره لأضعفته، ويقينه القوي بقرب الله -عزو جل- منه.

فالشاعر في تأكيده هنا لا ينظر إلى حال المخاطب وإنما ينظر إلى حال نفسه ومدى انفعاله بهذه الحقائق، وحرصه على إذاعتها وتقريرها في نفوس المخاطبين كما أحسها، مقررة أكيدة في نفسه[25].

كما جاء قوله: وظني بأن الله سوف يديل، مؤكدًا باسمية الجملة و(أن)، ليؤكد مدى قرب الله عز وجل منه، ومن أن حاله سوف تتبدل إلى الأفضل، فهذه حقيقة ثابتة في نفسه تعطيه القوة أمام قسوة الحياة التي أضعفته وأنهكته.

ثم يعبر الشاعر عن تغيير الله تعالى لحاله وتبديلها بصيغة الفعل المضارع الدال على التغيير والتجدد، وكأنه يقول بأن حالي لن تظل على ما أنا عليه، وأن هذه الحالة حالة طارئة، غير ثابتة[26].

كما أن التعبير بصيغة الفعل المضارع تجعل الشاعر يستحضر صورة تبديل حاله وكأنها مشاهدة أمامه؛ مما يعطيه بريق أمل لينهض به من ركام الضعف واليأس، ليأخذ بسلاح القوة؛ مما يجعله صامدًا أمام تلك الجراح الغائرة في نفسه.

من خلال مطلع هذه القصيدة وحسن ابتدائها نلمح مقصد الشاعر وغرضه من النص، وهو التعبير عن عظم ما أصابه من الآم وجراح، وقف أمامها موقف العظيم الذي لم يفت عضده أي منها، بل إنه زاد قوة ويقينا بالله ﷻ وقربا منه.

فالمطلع يجمع بين دلالتي القوة والضعف اللتين بثهما في بقية أبياته، وفي هذا المطلع نجد أن الشاعر قد وفق فيه حيث أشار من خلاله إلى المغزى والغرض الذي يقصده. وقد أشار أبو هلال

العسكري إلى جودة الابتداء بكلام يحمل مقصد المتكلم وذلك بقوله: "ليس يُحمدُ من القائل أن يُعمي معرفة مغزاه على السامع لكلامه في أول ابتدائه، حتى ينتهي إلى آخره، بل الأحسن أن يكون في صدر كلامه دليل على حاجته، ومبيَّن لمغزاه ومقصده"[27]، وقد سبقه الجاحظ في ذلك بقوله: "وليكن في صدر كلامك دليل حاجتك"[28].

ثم يأتي الفعل (أُحَمَّلُ) بما يحتويه من دلالة لغوية؛ ليدل على الثقل وطول الوقت، وبما فيه من تضعيف حيث دلت المبالغة على مدى الضعف الذي حلَّ بالشاعر، فقد نقل لنا هذا المشهد وكأنه حاضر شاخص أمام العين، كما أن صيغة المضارعة تدل على التجدد والاستمرار، فحمله هذا الثقل لا يقع في زمن معين، وإنما يحدث في كل زمان؛ مما يدل على الضعف.

تَناســانِيَ الأَصــحابُ إِلّا عصــيبَةً سَــتَلحَقُ بِــالأُخرى غَــدًا وَتَحــولُ

كما أن الشاعر أتى بصيغة (فعول) في قوله: (لحمول) للدلالة على المبالغة، وعلى كثرة المصاب الذي حلَّ به مما أضعف من جسده ومن قوته:

جِـراحٌ و أَسْـرٌ، واشْـتَيَاقٌ، وغُرْبـةٌ أُحَمَّــلُ !إنّــي، بَعْــدَهَا، لَحَمُــولُ

وَمَـا نَـالَ منّي الأَسْـرُ مَـا تَرَيَانـه وَلَكنَّنــي دَامــي الْجــرَاح عَليــلُ

في هذا البيت يقف أبو فراس وقفة الشامخ، المتباهي بقوته، حيث ينكر أنه تأثر بتلك المصائب التي منها الأسر والغربة والاشتياق والجراح وقسوة الحياة، فلم ينل الأسر منه ما يشاهدونه من ضعف في بدنه، لكن الضعف أتى من كونه دامي الجراح، عليلا، فهو طيلة مدة أسره يخرج منه الدم[29]، مما أضعف جسده وجعله مريضا لا يقوى على الحراك، فهذا الجرح الغائر كان سببًا لضعفه ووهن قواه.

فجراحه متجددة مستمرة باستمرار ذلك الألم النفسي المتمثل بالحزن والهموم، والجسدي المتمثل بخروج الدم من جسده، وبالمرض الذي فتَّ عضده؛ لذا جاءت لفظة (دامي) على وزن فاعل الدالة على الحدوث والتجدد والاستمرار، فيقال (فاعل) لمن تكرر منه الفعل وكثُر ولمن وقَعَ منه فعل ما، فالشاعر وظف اسم الفاعل لبيان استمرار ضعفه.

يصور لنا الشاعر مدى ضعفه في شكواه من تنكر الأصحاب والأقارب له، ويستثني جماعة صغيرة، ثم يستدرك ويقول: إن هذه الجماعة لم تثبت على المودة والعهد طويلا حتى تلحق بغيرها، وأنه أصبح لا يرى منهم إلا من يميل إلى قضاء مصالحه وتوفير أسباب راحته، ثم يتحسر لإجحاف أصحابه، ويقرر أن الكرام في كل دهر قليلون.

كما تظهر دلالة الضعف في توظيف الشاعر لصيغة التصغير الدالة على القلة؛ للدلالة على تخلي الأصحاب حيث لم يبق منهم إلا القليل وهذا القليل سيتبع لا محالة سابقيه ممن تخلوا عنه، كما يأتي الفعل (تناساني) في تكلف الفاعل للفعل ليدل دلالة عظيمة على ضعف الشاعر، فصيغة (تناساني) دالة على التكلف، أي أن الفاعل يتجاهل الفعل، إذ نلحظ أن الشاعر أظهر النسيان بطريقة متكلفة وهو واضح من خلال التعبير أن أصحابه لم ينسوه بل تعمدوا نسيانه وتكلفوا في ذلك، مما أصاب الشاعر بالضعف والخذلان.

وتتجلى أعظم صورة للضعف في قوله:

أقلب طرفي لا أرى غير صاحب يميل مع النعماء حيث تميل

فالشاعر يصف تقلب الزمان وغدر الأصحاب والخلان، وذلك بالفعل المضارع (يميل) الدال على الاستمرار والتجدد، فحال أصحابه متجدد بنكرانهم للعهد، فهم متقلبون أينما مالت الريح مالوا، وهذا الاستمرار يعطي استمرارا للحزن والخذلان والألم الذي أصاب نفس الشاعر ممن خذلوه.

ثم ما يلبث الشاعر أن يؤكد حقيقة أن من يدعي الصداقة عندما يتركك ويتجنبك يكون محسنًا بذلك، وأنه صديق لا يضر صديقه الخالص، وذلك من خلال التعبير بالفعل الماضي الدال على تحقق وقوع الفعل في قوله: (وصرنا نرى) وب (أن). وهنا تظهر أقل درجات الضعف وذلك فيمن يأمن أذى صديقه من خلال تركه وتجنبه.

لَقيتُ نُجومَ الأُفقِ وَهيَ صَوارِمٌ وَخُضتُ سَوادَ اللَيلِ وَهوَ خُيولُ

يأتي هذا البيت ليمثل القوة والضعف معا، حيث جاءت جملتان فعليتان الأولى صدر البيت (لقيت) والثانية عجزه (خضت)، وهما جملتان متعديتان إلى مفعول به مضاف إلى متمم (الأفق الليل)، والتعدي دال على مدى معاناة الشاعر النفسية، وألمه وحزنه المكبوت داخله، ومدى صبره الطويل وتجلده العظيم على لقاء أمه، وهنا يتمثل الضعف والقوة معًا.

تأتي خاتمة القصيدة لتحمل دلالة القوة؛ حيث تزخر الأبيات بالمعاني الإسلامية السامية من إرادة الله الغالبة وعونه وحمايته، ونصره، وإرشاده.

وَمَـن لَـم يُـوَقِّ اللَهُ فهـو ممـزق وَمَـن لَـم يُعِـزِّ اللَهُ فهـو ذليـلُ

يقدم الشاعر حكمة رائعة، فالعزة والقوة مع الله عز وجل ، والضعف والتشتت في الابتعاد عنه ﷻ ، فمن لم يحمه الله عز وجل فسوف يصيبه التمزق في قلبه وهو التفطر من الألم، والتفرق وزوال الملك [30]، والشتات في أمره.

لقد وظف الشاعر في تعبيره عن القوة أسلوب الشرط، ففي البيت أسلوبان شرطيان:

ففي الشطر الأول: الأداة (منْ)، وجملة الشرط (لم يوق) فعلية فعلها مضارع، وجملة جواب الشرط اسمية مقترنة بالفاء (هو ممزق).

وفي الشطر الثاني: الأداة (منْ)، وجملة الشرط (يعز الله) فعلية فعلها مضارع، وجملة جواب الشرط اسمية مقترنة بالفاء (هو ذليل).

يقول الشاعر إن العزة والمنعة والقوة مع الله عز وجل ، والهوان والتفرق والتشتت بالابتعاد عنه، وانطلاقا من مقام الحكمة استخدم الشاعر الأسلوب الخبري المؤكد بضمير الفصل (هو)، كذلك جاء فعلا الشرط بصيغة المضارعة الدالة على التجدد والاستمرار لتدل على أن الحماية والحفظ والعزة من الله متجددة مستمرة تحيط بالإنسان في كل زمان ومكان. يقول الزركشي: " لا يتعلق إلا بمستقبل فإن كان ماضي اللفظ كان مستقبل المعنى، كقولك: إن مت على الإسلام دخلت الجنة "[31].

وَمن لَم يُرِدهُ اللهُ في الأمر كله فَلَيسَ لِمَخلوقٍ إِلَيهِ سَبيلُ

وإن هو لم يدللك في كل مسلك ضللتَ، ولو أن السماك دليلُ

إذا ما وقاك الله أمرا تخافه فما لك مما تتقيه مقيلُ

وإن هو لم ينصرك لم تلق ناصرا وإن جل أنصار وعز قبيلُ

وإنَّ رجائيه وظني بفضله على قُبحِ ما قدمته – لجميلُ

الشاعر هنا في هذه الأبيات يعبر عن تقبل الأقدار، والتكيف مع المكتوب، تكيف المؤمن الذي يوقن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، هنا الرضا بالقضاء والقدر والتسليم لأمر الله، بصدق التوكل عليه ﷻ وحسن الظن بعفوه ومغفرته، وهنا تظهر دلالة القوة، وذلك بإرجاع كل أمر يصيب الإنسان إلى الله -عز وجل-

نلحظ كثرة استخدام الشاعر لأسلوب الشرط، وذلك بتنوع أدواته (إن، إذا، من)، ففي البيت الثاني جاء فعل الشرط (لم يرده في الأمر كله) وجوابه (فليس لمخلوق إليه سبيل) فقيدت الجملة بالشرط للتأكيد على أن كل ما يصيب المسلم إنما هو بتدبير الله عز وجل ولو لم يحصل ما يريده فهو خير له، فكل أمر المؤمن خير له، لأنه من الله عز وجل وأمر المؤمن كله خير.

كما استخدم الشاعر التعريف في (الأمر) للدلالة على التعظيم، والتوكيد في (كله) وهنا يبرز معنى القوة فالأمر كله صغيره وكبيره إنما هو بيد الله عز وجل ، ليس لمخلوق دخل فيه، وتمثل لفظة (المخلوق) جانب الضعف؛ حيث اختارها على لفظة الإنسان، فالضعف في أصل الخلقة، فقد ذكر ذلك ربنا ﷻ في قوله -تعالى-:﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء: 28].

ثم يأتي بأسلوب الشرط ولكن بأداة جديدة هي (إن)، وفعله (لم يدللك)، أما جوابه فهو (ضللت) فالجملة قيدت بالشرط ليثبت أن مراد الله نافذ، وإن هو لم يرشدك للخير فسوف تضل طريق الهداية، فما أنت إلا ضعيف تستمد قوتك من الخالق عز وجل فهو من يرشدك إلى طريق الحق.

ثالثا: التركيب الأسلوبي

1 الأسلوب الخبري

	الجملة الخبرية	الجملة الإنشائية
1	مُصابي جَليلٌ وَ العزاءُ جَميلُ	وَمَن ذا الَّذي يَبقى عَلى العَهدِ إِنَّهُم
2	وَظَني بِأَنَّ اللَهَ سَوفَ يُديلُ	فَيا حَسرَتا مَن لي بِخِلٍّ مُوافِقٍ
3	جِراحٌ و أَسْرٌ، واشْتَيَاقٌ، وغُرْبةٌ	فَيا أُمَّتا لا تَعدَمي الصَبرَ إِنَّه
4	أُحَمَّلُ !إِنّي، بَعْدَهَا، لَحَمُولُ	وَيا أُمَّتا لا تُخطِئي الأَجرَ إِنَّه
5	وَإِنّي فِي هَذَا الصَّبَاح، لَصَالِحٌ	أما لَكِ في ذاتِ النِطاقَينِ أُسوَةٌ
6	وَ لَكنَّ خَطْبي في الظَلَام جَليلُ	تَأَسّي كَفاكِ اللَهُ ما تحذرينه
7	وَ مَا نَالَ منّي الأَسرُ ما تَرَيَانه	وَكوني كَما كانَت بِأُحدٍ صَفِيَّة
8	وَ لَكنَّني دَامي الْجرَاح عَليلُ	
9	جِراحٌ تَحاماها الأُساةُ مَخوفَة	
10	وَسُقمانِ بادٍ مِنهُما وَدَخيلُ	
11	وَأَسرٌ أُقاسيهِ وَليلٌ نُجومُهُ	
12	أَرى كُلَّ شَيءٍ غَيرَهُنَّ يَزولُ	
13	تَطولُ بِيَ الساعاتُ وَهيَ قَصيرَةٌ	
14	وَفي كُلِّ دَهرٍ لا يَسُرُّكَ طولُ	
15	تَناسانِيَ الأَصحابُ إِلّا عصيبَةً	
16	سَتَلحَقُ بِالأُخرى غَدًا وَتَحولُ	
17	أُقَلِّبُ طَرفي لا أَرى غَيرَ صاحِبٍ	
18	يَميلُ مَعَ النَعماءِ حَيثُ تَميلُ	
19	وَصِرنا نَرى أَنَّ المُتارِكَ مُحسِنٌ	
20	وَأَنَّ صَديقًا لا يضرُّ خَليلُ	
23	فَكلُّ خليلٍ هَكَذا غَيرُ مُنصِفٍ	
24	وَكُلُّ زَمانٍ بِالكِرامِ بَخيلُ	
25	نَعَم دَعَتِ الدُنيا إِلى الغدر دعوة	

26	أجاب إليها عالِمٌ وَجهولُ	
27	وَفارَقَ عَمروُ بنُ الزُبَيرِ شَقيقهُ	
28	وَخَلّى أَميرَ المُؤمِنينَ عَقيلُ	
29	وَإِنَّ وَراءَ السترِ أُمّا بُكاؤُها	
30	عَلَيَّ وَإِن طالَ الزَمانُ طَويلُ	
31	وَلَو رَدَّ يَومًا حَمزَةَ الخَيرِ حُزنُها	
32	إِذًا ما عَلَتها رَنَّةٌ وَ عَويلُ	
33	لَقيتُ نُجومَ الأُفقِ وَهيَ صَوارِمٌ	
34	وَ خُضتُ سَوادَ اللَيلِ وَهوَ خُيولُ	
35	وَلَم أَرعَ لِلنفسِ الكريمة خلة	
36	عَشِيَّةَ لَم يَعطِف علي خليل	
37	وَلَكِن لَقيتُ المَوتَ حَتّى تَرَكتُها	
38	وَفيها وَفي حَدِّ الحُسامِ فُلولُ	
39	وَمَن لَم يُوَقِّ اللَهُ فهو ممزق	
40	وَمن لَم يعِزِّ اللَهُ فهو ذليل	
41	وَمن لَم يُرِدهُ اللَهُ في الأمر كله	
42	فَلَيسَ لِمَخلوقٍ إِلَيهِ سَبيلُ	
43	وإن هو لم يدللك في كل مسلك	
44	ضللتَ، ولو أن السماك دليل	
45	إذا ما وقاك الله أمرا تخافه	
46	فما لك مما تتقيه مقيلُ	
47	وإن هو لم ينصرك لم تلق ناصرا	
48	وإن جل أنصار وعز قبيلُ	
49	وإنَّ رجائيه وظني بفضله	
50	على قُبحِ ما قدمته – لجميلُ	
51	فإما حَيَاةٌ في فناهُ عزيزَةٌ	
52	وإمَّا مَمَاتٌ في ذُرَاهُ جَميلُ	

من خلال الجدول السابق يتضح كثرة توظيف الشاعر للجمل الخبرية مقارنة بالجمل الإنشائية، وهو ما يتناسب مع ما يتطلبه المقام والسياق.

الخبر: هو ما تكون من جملة أو أكثر، وكان له فائدة مباشرة أو غير مباشرة وهي الضمنية ، والفائدة المباشرة هي ما يسميه البلغاء: فائدة الخبر، والفائدة الضمنية هي ما يسمونه: لازم الفائدة[32].

تتجلى دلالة القوة في التعبير بالجملة الخبرية في قول الشاعر:

جِـراحٌ و أَسْـرٌ، واشْـتَيَاقٌ، وغُرْبَـةٌ أُحَمَّـلُ! إنّـي، بَعْـدَهَا، لَحَمُـولُ
وَإنّـي في هَـذَا الصَّـبَاح، لَصَـالحٌ وَ لَكـنَّ خَطْبِـي فـي الظَّـلَام جَليـلُ

عبّر الشاعر عن قوته بالجملة الخبرية، حيث ينكر أنه تأثر بتلك المصائب التي منها الأسر والغربة والاشتياق والجراح وقسوة الحياة، فلم ينل الأسر منه ما يشاهدونه من ضعف في بدنه، وجاءت الجملة الخبرية بالتوكيد عن طريق (إني) و(اللام) واسمية الجملة؛ ليؤكد مدى الثقل الذي حلَّ بجسده مما أضعفه أمام قوة الجراح والأسر والاشتياق والغربة.

نَعَم دَعَتِ الدُنيا إلى الغدر دعـوة أَجـــابَ إِلَيهـــا عـــالم وجهـــول

تظهر دلالة الضعف في هذا البيت من خلال توظيف الجملة الخبرية المؤكدة، حيث يؤكد الشاعر ضعفه من خلال تلك النظرة البائسة الحزينة التي تنظر إلى الدنيا وكأنها غول يفترس كل وفيٍّ من الأصحاب فما الدنيا أمام عينيه إلا شخص ماثل أمامه يدعو إلى الغدر والخيانة، وقد أكد ذلك الخبر من خلال استخدام صيغة الماضي (دعت) فدعوتها للغدر واقعة متحققة لا محالة، وكذلك بدء الجملة ب (نعم) وبمصدر الفعل (دعت) (دعوة).

وإنَّ رجائيـــه وظنـــي بفضـــله علـى قُـبحِ مـا قدمتـه – لجميـلُ

ها هو الشاعر في جملته الإخبارية يقرر حقيقةَ حسن ظنه بالله عز وجل رغم ما قدم من ذنوب ومعاصٍ، لكن إيمانه القوي يجعله يحسن الظن بالله تعالى والله عند حسن ظن عبده به، وقد عبَّر عن تلك الفكرة بالجملة الخبرية المؤكدة ب (إن) واسمية الجملة واللام؛ وكأنه يريد أن يقتلع جذور الإنكار من المتلقي ليثبت مدى قوة إيمانه.

وفي آخر القصيدة يلتفت الشاعر إلى القلب الآخر الذي ظل يخاطبه، ويرجو ما عنده من الخلاص والفداء، فظنه ورجاؤه معقودان بما يبذله سيف الدولة من خلاصه.

وما دام سيف الدولة القرم باقيًا فظلك فيّاحُ الجَنابِ ظَلِيلُ
عَسَاهُ وَ قَدْ أَحْسنْتُ ظَنّي بفَضْلِهِ يَجُودُ بِتَخْلِيصِي لَكُمْ وَيُنِيل
فإما حيَاةٌ في فناهُ عزيزَةٌ وإمَّا مَمَاتٌ في ذُرَاهُ جَميلُ

إن الشاعر في محنته وضعفه وانكساره في السجن يتطلع إلى من يخلصه، حيث عبَّر عن مدحه لسيف الدولة بالجملة الخبرية التي جاءت لتقرر حقيقة سيف الدولة فهو فياض كثير العطاء، وهو مدح قُصد منه أن يخلصه مما هو فيه. فسيف الدولة يمثل القوة لأبي فراس.

2- الأسلوب الإنشائي

وَمَن ذا الَّذي يَبقى على العَهد إِنَّهُم وَ إِن كثرت دعواهمْ لقَليلُ

يأتي الاستفهام في قوله: ومن ذا الذي يبقى على العهد ؟ للدلالة على التعجب، ليقرر أن ليس هناك من يبقى على الوفاء والعهد، ثم تأتي الجملة الخبرية المؤكدة ب(إن) واللام، ليؤكد الشاعر ما يجول في نفسه من الضعف المتمثل في حزنه وألمه من قلة الأوفياء من الأصحاب.

فَيا حَسرَتا مَن لي بِخِلٍّ مُوافِقٍ أَقولُ بِشَجوي مَرَّةً وَيَقولُ

يتحسر الشاعر على نفسه من خيبة أمله بأصحابه الأوفياء، وهنا يظهر الضعف جليًا حيث ينادي (الحسرة) والحسرة ليست عاقلا تنادى على وجه الحقيقة، وإنما هو استعمال مجازي، وهي معنى عاطفي، وحالة داخلية من حالات الشاعر، تعطي دلالة على الحالة النفسية التي يعاني منها الشاعر، حيث يعيش حالة الحزن واليأس والخيبة والألم الذي يغمر قلبه وروحه، ذلك الألم الداخلي والوجع، خصوصًا مع ما تلاها من استفهام في قوله:

من لي بخل موافق أقول بشجوي مرةً ويقول؟

جاء الاستفهام للتمني، فالشاعر يتمنى وجود الصديق الوفي المخلص الذي يبثه شكواه، فالشاعر وظف التمني وهو طلب حصول الشيء المحبب للنفس مع عدم تحققه [33]، فتمنيه

للصاحب الوفي الذي يخفف من آلامه وأحزانه وهمومه أمر بعيد المنال غير متحقق، وبذلك يتحقق الضعف في هذا البيت.

فَيـا أُمَّتـا لا تَعـدَمي الصـبرَ إِنَّـه إِلـى الخَيـرِ وَالـنُجحِ القَريـبِ رَسـولُ

وَيـا أُمَّتـا لا تُخطِئـي الأَجـرَ إِنَّـه عَلـى قَـدَرِ الصَـبرِ الجَميـلِ جزيـلُ

هنا زاد الألم والحزن على الشاعر، وازداد ضعفه، بسبب امتداد غربته لسنوات، فاضطربت روحه النبيلة في نفس خاب ظنها بأصحابها وأصدقائها لتستسلم أخيرًا لقضاء الله، وهو هنا يوجه شوقه وحنينه لأمه، دوحة الأمومة التي لا تقارن بغيرها، فلو خان الناس كلهم لم تخن، وإن نسي الجميع فلا تنسى، ولو تساهل الجميع فلن تتساهل ولن تتنازل عن فلذة كبدها.

ويوظف الشاعر التكرار في هذه الأبيات للدلالة على الضعف، حيث يكرر لفظة (الأم) مسبوقة بحرف النداء، وهو تكرار جاء لبيان حزنه العميق، فهو يتوجه إلى أمه بالنداء، يواسيها ويساندها على الرغم من حاجته الشديدة لمن يواسيه.

وجاء تركيزه على النداء للتنفيس من ذلك الحمل الثقيل في نفسه، فالشاعر بتكراره للنداء بالمد كأنه ينادي بأعلى صوته لأمه ويستغيث بها، إذ مدَّ المنادى (أُمّ) بحرف المد، والمد دال على الاستغاثة، وبُعد المكان، وعلى استمرار ألمه وحزنه. والغرض من ذلك هو التنفيس عن ألمه وحزنه وحسرته لفقده مصدر الأمان والاطمئنان وهو أمه.

ولم يكتف الشاعر بأسلوب النداء في بيان الضعف وإنما دعمه بالنهي (لا تعدمي لا تخطئ) وكأنه يواسي والدته محاولا بث الأمل في قلبها والصبر والاحتساب ليقوى قلبها.

كما أنه وظف التوكيد عند ندائه لأمه بالأداة (إن) بغرض بث الثقة في قلبها والأمل، والتأكيد على أهمية الصبر فهو السلاح الذي تتقوى به على نوائب الدهر، (إنه إلى الخير والنجح القريب رسول، إنه على قدر الصبر الجميل جزيل)، فكما دل النداء على الضعف نجد أنه يدل كذلك دلالة واضحة على القوة بمساندة التوكيد.

أمـا لَـكِ فـي ذاتِ النطـاقَينِ أُسـوَةٌ بِمكّـةَ وَالحَـربُ العـوانُ تَجـولُ

استخدم الشاعر الاستفهام الموجه لوالدته في قوله: أما لك في ذات النطاق أسوة؟ وهذا الاستفهام جاء للتقرير فكأن الشاعر يطلب من والدته أن تُقَّر بتأسيها بذات النطاقين، التي تمثل أعظم مثل على الصبر والتجلد، فجاء الاستفهام التقريري وغرضه نصح والدته بالصبر على مصابها، فهذا الاستفهام جاء ليتضافر مع ضرب المثل للدلالة على القوة.

نجد كذلك الجمل الإنشائية في قوله:

فَيـا أُمَّتـا لا تَعـدَمي الصَـبرَ إِنَّـه إِلى الخَيرِ وَالـنُجحِ القَريـبِ رَسـولُ

وَيـا أُمَّتـا لا تُخطِئـي الأَجـرَ عَلى قَـدَرِ الصَبرِ الجَميـلِ جزيـلُ

أمـا لَـكِ في ذاتِ النِطـاقَينِ أُسـوَةٌ بِمكّـةَ وَالحَـربُ العـوانُ تَجـولُ

تَأَسّـي كَفـاكِ اللَهُ مـا تحذرينـه فَقَد غـالَ هَـذا النـاسُ قَبلَكِ غـولُ

وَكـوني كَمـا كانَـت بِأُحـدٍ صَـفِيَّة وَلَـم يُشـفَ مِنهـا بِالبُكـاءِ غَليـلُ [34]

جاء الأمر هنا بالفعلين (تأسي) و(كوني) حيث اتخذ أسلوب الأمر مع والدته بُعدًا آخر فيه من الرقة والعطف الكثير، لكنه صادق جدا في تعبيره، فهو مخلص لأمه، لا يريد من وراء التلطف والتأدب معها في الخطاب إلا ما يريده الابن البار.

كذلك النهي في (لا تعدمي) و(لا تخطئ) والاستفهام كما سبق (أما لك في ذات النطاقين أسوة؟) فاجتماع الأساليب الإنشائية في هذه الأبيات جاء للدلالة على القوة؛ فهو في مقام الحث والنصح لوالدته بأن تكون قوية تستمد قوتها من الله عز وجل لترتقب الأجر العظيم الذي ينتظرها، وأي قوة تعدل قوة التعلق بالله عزو جل كما يحثها على أن تستمد قوتها من ضرب الأمثال بمن سبقها من الصحابيات الصابرات، فهن مصدر الصبر لها في هذه الحياة كي تسير باطمئنان نفس، وهدوء بال، وسكون روح.

المبحث الثالث: تجليات القوة والضعف على المستوى الدلالي

إذا كانت الدلالة تتحقق في النص الشعري عبر بناه الداخلية، فان ذلك يقضي بأن هناك نزوعًا أصيلًا إلى التعبير بالإيحاء في لغة الشعر، ولا يتم استكناه هذه الدلالة التأويلية إلا عن طريق

الدلالة المطابقة أو المباشرة، ومن ثمّ تتشكل في بنية النص الشعري بنية مزدوجة وظيفتها إنتاج مدلولات عديدة وتدخل الاستعارة والكناية وكل الصور البيانية في فضاء هاتين البنيتين التأويلية والمباشرة.

وعند النظر في هذه القصيدة نجد أن الشاعر قد وظف الصورة الفنية توظيفًا جيدًا للكشف عن مظاهر القوة والضعف.

الاستعارة	الكناية
وَكُلُّ زَمانٍ بِالكِرامِ بَخيلُ	أَرى كُلَّ شَيءٍ غَيرَهُنَّ يَزول
نَعَم دَعَتِ الدُنيا إِلى الغدر دعوة	وَفارَقَ عَمروُ بنُ الزُبَيرِ شَقيقهُ
وَلَكِن لَقيتُ المَوتَ حَتّى تَرَكتُها	وَخَلّى أَميرَ المُؤمِنينَ عَقيلُ
لَقيتُ نُجومَ الأُفقِ وَهيَ صَوارِمٌ	فإما حيَاةٌ في فناهُ عزيزَةٌ
وَخُضتُ سَوادَ اللَيلِ وَهوَ خُيولُ	وإِمَّا مَمَاتٌ في ذُرَاهُ جَميلُ
وَمَن لَم يُوَقِّ اللَهُ فهو ممزق	
ضللتَ، ولو أن السماك دليلُ	

من خلال الجدول السابق يتضح أن الشاعر قد اتكأ في تصويره لمظاهر القوة والضعف على الاستعارة وكانت هي المهيمنة على القصيدة من بين الصور البيانية، ثم بعد ذلك تأتي الكناية، وضرب المثل.

يقول الشاعر:

جِـــراحٌ تَحاماهـــا الأُســـاةُ مَخوفَـــة وَسُـــقمانِ بـــادٍ مِنهُمـــا وَدَخيـــلُ

وَأَســـرٌ أُقاســـيهِ وَليـــلٌ نُجومُـــهُ أَرى كُـــلَّ شَـــيءٍ غَيـــرَهُنَّ يَـــزولُ[35]

في هذين البيتين تصوير لضعف الشاعر وما أصابه من جراح تجنب الأطباء علاجها: جرح ظاهر على الجسم، وجرح داخل الجسم، فجمع بين الألمين النفسي والجسدي مما يمثل أقوى صور

الضعف، ومع هذه الجراح ليل طويل، الذي هو مصدر الهموم والأحزان، والرهبة للشاعر؛ مما جعله لا يُغمض جفنًا، فليله لا نهاية له، فارتباط الليل بالمرض أنتج تجربة شعرية لها قيمتها ودلالتها.

إن الصورة المؤلمة المرافقة دوما للشاعر في أسره، التي وظفها توظيفا جيدا للدلالة على الضعف هي عدم الاستجابة السريعة لخلاصه، وتمثل الصورة الحقيقية للمعاناة النفسية، وخير ما يمثل ذلك النجوم في طول بقائها واليأس من زوالها، فكأنها ثابتة لا تتحرك، فالأحاديث عن الليل دوما ترتبط بصورة النجوم، وهي ثابتة لا تتحرك واقفة لا تتغير، وكأن الشاعر يريد أن يقول: هذا هو حالي، ف "نحس بثقل الهموم على نفسه وكيف أنها انتشرت وامتدت في كل زاوية من زوايا نفسه في اطمئنان وهدوء، وكأنها وجدت هناك مكانها المريح "[36].

فقوله: أَرى كُلَّ شَيءٍ غَيرَهُنَّ يَزول كناية عن طول البقاء، وهذه الكناية جاءت لتقوي ذلك المعنى، وتؤكده في النفس.

فَكـلُّ خليـلٍ هَكَـذا غَيـرُ مُنصِـفٍ وَكُـلُّ زَمـانٍ بِـالكِرامِ بَخيـلُ
نَعَم دَعَتِ الدُنيا إِلى الغدر دعـوة أجـاب إِلهـا عـالِمٌ وَجهـولُ
وَفـارَقَ عَمـرُو بـنُ الزُبَيرِ شَـقيقهُ وَخَلّـى أَميـرَ المُـؤمِنينَ عَقيـلُ

كذلك نجد أن الشاعر قد عبَّر عن بخل الزمان بالأصحاب الأوفياء، وغدر الدنيا بالصورة الاستعارية، حيث شبه الزمان بالإنسان البخيل، فحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو البخل، كما أنه شخّص لنا الدنيا بصورة شخص يدعو إلى الغدر فهو لئيم، وهذه الصور ساعدت على إبراز الضعف الذي يحسه الشاعر من خلال تلك النظرة وذلك الألم الذي يعيشه.

ثم يمثل الشاعر لغدر الناس بعمرو بن الزبير عندما فارق شقيقه عبدالله، وبالإمام علي بن أبي طالب ﷺ عندما فارقه أخوه عقيل في خلافته، فهنا الأخ يفارق أخاه فكيف بالصديق ؟! وهنا يتجلى الضعف في أقوى صوره، ففي البيت الأخير كنايتان عن التغير القيمي والغدر والخذلان.

ويوظف الشاعر ضرب المثل للقوة فقد ضرب المثل بأسماء بنت أبي بكر في محاولة منه لإقناع أمه بالتحلي بالصبر لأن لها ابنًا فارسًا شجاعًا يجب ألا تخاف عليه وهنا يظهر اعتزازه بقوته:

أما لَكِ في ذاتِ النِطاقَينِ أُسوَةٌ بِمكّـةَ وَالحَـربُ العـوانُ تَجـولُ

استعار الشاعر قصة أسماء بنت أبي بكر وهي تشجع ابنها، وتدفعه إلى ساحة الحرب، رغم أنه فلذة كبدها وتشجعه على الشهادة والثبات على مبدئه. ويستدعي استقبال خبر استشهاده في مثال بطلته صفية بنت عبد المطلب وأخيها حمزة عم النبي -ﷺ- بأن الإسلام لم يمنع النساء من الوقوف إلى جانب الرجال في الحرب ومساعدتهم. وهنا تظهر شجاعة كل من أسماء وصفية في تشجيعهما لابنيهما على خوض غمار الحرب وصبرهما على فقدان ابنيهما؛ لما فيها من قوة حجاجية مؤثرة استثمرها لجعل والدته تتحلى بالقوة.

ولم يكتف الشاعر بذلك بل استخدم الاستفهام الموجه لوالدته في قوله: أما لك في ذات النطاق أسوة ؟ وهذا الاستفهام جاء للتقرير، فكأن الشاعر يطلب من والدته أن تُقَّر بتأسيها بذات النطاقين، التي تمثل أعظم مثل على الصبر والتجلد، فجاء الاستفهام التقريري وغرضه نصح والدته بالصبر على مصابها، فهذا الاستفهام جاء ليتضافر مع ضرب المثل للدلالة على القوة.

لَقيتُ نُجومَ الأُفقِ وَهيَ صَوارِمٌ وَخُضتُ سَوادَ اللَيلِ وَهوَ خُيولُ

نجد أن الشاعر جعل لسواد الليل جسمًا في صورة خيول، فهو يخوض حربه مع هذه الخيول، وهنا تظهر قوته في شجاعته وخوضه لتلك الحرب مع الليل الذي يعد نقطة ضعف للشعراء حيث يعد مصدر هموم وأحزان ورهبة، مما جعلهم لا يهنؤون بنومهم.

فالشاعر وظف الصورة البيانية التي تمثل انعكاسًا لحالته النفسية الملونة بانفعال مبطن يمتد بإيحاءاته.

وَلَكِن لَقيتُ المَوتَ حَتّى تَرَكتُها وَفيها وَفي حَدِّ الحُسامِ فُلولُ

يأتي هذا البيت الذي يعد نهاية المقطع الثالث ليصور القوة، حيث جعل من الموت عدوًا يلقاه في المعارك فينتصر عليه بمقاومته له، وبإحداث جراح في جسده، وهنا قمة الشجاعة والقوة للشاعر، حيث لم يمت الشاعر في المعارك رغم أنه لقي الموت وحاربه. فالتجسيد هنا وُظِّف للدلالة على القوة.

وَمَـن لَـم يُـوَقِّ اللهُ فهـو ممـزق وَمـن لَـم يُعِـزِّ اللهُ فهـو ذليـل

استخدم الشاعر الصورة الاستعارية في تصوير الضعف حيث شبه الإنسان بقطعة قماش، حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه (ممزق) على سبيل الاستعارة المكنية، وهذه الاستعارة جاءت لتبين كيف أن الإنسان من دون الله عز وجل ذليل حقير لا يساوي قطعة قماش بالية ممزقة، وهنا توحي الصورة بأعلى درجات الضعف.

وَمـن لَـم يُـرِدهُ اللهُ فـي الأمـر كلـه فَلَـيسَ لِمَخلـوقٍ إِلَيـهِ سَـبيلُ
وإن هـو لـم يـدللك في كـل مسـلك ضـللتَ، ولـو أن السـماك دليـلُ
إذا مـا وقـاك الله أمـرا تخافـه فمـا لـك ممـا تتقيـه مقيـلُ
وإن هـو لـم ينصـرك لـم تلـق ناصـرا وإن جـل أنصـار وعـز قبيـلُ
وإنَّ رجائيـه وظنـي بفضـله علـى قُـبحِ مـا قدمتـه – لجميـلُ

وظف الشاعر الصور البيانية للدلالة على الضعف حيث جعل من النجم (السماك) شخصًا نستدل به، فحذف المشبه به (الإنسان) ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو ال(دليل) على سبيل الاستعارة المكنية، ويكمن جمال هذه الاستعارة فيما أحدثته من مبالغة في المعاني، فالسماك يعد قوة للناس في استدلالهم على طرقهم، وبالرغم من هذه القوة فإن إرادة الله وقدرته فوق كل شيء فما يلبث الإنسان أن يضل طريقه بوجود السماك وهنا الضعف، فالقوة مع الله عز وجل .

ونجد معنى القوة يتكرر في بقية الأبيات، فإذا الله تعالى لم يوق الإنسان الشرور والصعاب فلن تجد غيره معينا له، وإن لم ينصره الله فلن يجد له من ينصره.

يأتي قول الشاعر:

فإمـا حيَـاةٌ في فنـاهُ عزيـزَةٌ وإمَّـا مَمَـاتٌ فـي ذُرَاهُ جَميـلُ

حيث أجاد في استخدام الصورة البيانية للتعبير عن ذلك، حيث صور الحياة بشخص له عزة وكرامة وحذف المشبه به وأشار إليه بشيء من لوازمه (عزيزة) على سبيل الاستعارة المكنية، كما أن البيت يشتمل على كناية عن صفة وهي الكرامة.

وأخيرا نلحظ أن القصيدة تدور دلالتها ما بين القوة والضعف، حيث ابتدأت بتصوير ضعف الشاعر أمام آلامه وجراحه وأسره وحزنه، لكنه يقابل ذلك بحسن ظنه بالله عز وجل الذي منه يستمد القوة:

مُصابي جَليلٌ وَ العزاءُ جَميلُ وَظَنّي بِأَنَّ اللهَ سوف يديل

وينهي قصيدته كذلك بحسن ظنه بالله عز وجل من تغيير حاله إلى الأفضل والأقوى، ومن حسن ظنه كذلك ظنه بسيف الدولة الذي علّق أمله ورجاءه فيه لتخليصه مما هو فيه، وبهذا نجد أن خاتمة القصيدة تعود على أولها في انسجام وتناسق تام وبليغ:

وإنَّ رجائيه وظني بفضله على قُبحِ ما قدمته – لجميلُ

عَسَاهُ وَ قَدْ أَحْسنْتُ ظَنّي بفَضْلِهِ يَجُودُ بِتَخْلِيصِي لَكُمْ وَيُنِيل

النتائج:

توصل البحث إلى الآتي:

- أن دلالتي القوة والضعف في قصيدة أبي فراس (مُصابي جَليلٌ) قد تجلت على مستويات القصيدة الإيقاعية والتركيبية والدلالية.
- على مستوى الإيقاع الخارجي جاء بناء القصيدة على بحر الطويل الذي مكنه من القدرة على التعبير عن خلجات نفسه، وأحزانه وآلامه في الأسر (الضعف)، كما وفق الشاعر في اختيار حرف الروي وهو اللام المضمومة للدلالة على القوة، فهو حرف متوسط بين الشدة والرخاوة لثوي جانبي، حيث ينفلت الهواء من جانبي الفم أو من كليهما، لينفلت الشاعر من ذلك الحزن والألم والضعف باحثا عما يقويه وهو توكله على الله ﷻ والرضا بقضائه.
- على المستوى الإيقاع الداخلي جاء التوازي بنمطيه الرأسي والأفقي، والتكرار بأنواعه؛ للتعبير عن خلجات نفسه وما تحمله من دلالة ضعف أو قوة.
- على مستوى المعجم كانت الألفاظ التي تهيمن على القصيدة تتراوح بين معجمي القوة والضعف، فالقوة تمثلت في معجم الأخلاق الرفيعة، والمعجم الزمني، والمعجم الحربي، كما أن معجم (الأسر) قد مثل جانب الضعف بالإضافة إلى المعجم الزمني.

- على مستوى التركيب النحوي: هيمن الفعل المضارع على النص؛ للدلالة على القوة، عسى أن تتبدل حاله وتتغير إلى الأفضل، كما أن في استخدامه للمضارعة نقلا للأحداث من الماضي الغابر إلى الحاضر المشاهد، وكأنها تقع الآن على مرأى ومسمع من الجميع؛ ليشاركه الجميع إحساسه، ويتوجعون لوجعه.

- في التركيب الأسلوبي نجد هيمنة الجمل الخبرية على الجمل الإنشائية، حيث حملت بعض الجمل الخبرية الضرب الإنكاري؛ ليؤكد الشاعر قوته أمام تلك الآلام التي حلت به.

- على المستوى الدلالي نجد أن الشاعر قد اتكأ في تصويره لمظاهر القوة والضعف على الاستعارة، وكانت هي المهيمنة على القصيدة من بين الصور البيانية؛ لما لها من أمكانية في تجسيد أفكاره وهو في الأسر، وتصوير إحساسه الداخلي الذي يقوى أحيانا، ويضعف أحيانا أخرى.

الهوامش والإحالات:

(1) الفيروزآبادي، القاموس المحيط: مادة (ضعف).
(2) صليبا، المعجم الفلسفي: 1/ 760.
(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: مادة (قوى).
(4) صليبا، المعجم الفلسفي: 202/2.
(5) أبو فراس الحمداني، ديوانه: 252
(6) ينظر: هلال، النقد الأدبي الحديث: 435، 436.
(7) عبداللطيف، البناء العروضي: 100.
(8) حركات، الصوتيات والفونولوجيا: 65.
(9) ينظر: أنيس، الأصوات اللغوية: 56.
(10) ينظر: الكيلاني، بدر شاكر السياب: 278.
(11) ينظر: خطابي، لسانيات النص: 24.
(12) غنيم، عناصر الإبداع الفني: 286.
(13) ينظر: الكبيسي، لغة الشعر العراقي المعاصر: 166.
(14) ينظر: كنوني، التوازي: 79.

(15) أبو فراس الحمداني، ديوانه: 255.

(16) القاضي، أبو فراس الحمداني: 463.

(17) الفيروزآبادي،، القاموس المحيط، مادة: (سلك).

(18) أبو فراس الحمداني، ديوانه: 254.

(19) ينظر: مفتاح، تحليل الخطاب الشعري: 58.

(20) ابن منظور، لسان العرب، مادة: (جلل).

(21) ينظر: إسماعيل، روح العصر: 19.

(22) الغيضاوي، الإحساس بالزمن: 164/2.

(23) ينظر: الجرجاني، التعريفات: 259.

(24) ينظر: عبدالمطلب، جدلية الإفراد والتركيب: 154.

(25) أبو موسى، خصائص التراكيب: 127.

(26) الجرجاني، المقتصد في شرح الإيضاح: 1/ 505.

(27) العسكري، الصناعتين: 442.

(28) الجاحظ، البيان والتبيين: 1/ 76.

(29) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة: (دمي).

(30) ابن منظور، لسان العرب، مادة: (مزق).

(31) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 531.

(32)ينظر: القزويني، الإيضاح: 27.

(33) دويدري، شرح التلخيص في علوم البلاغة: 81.

(34) أبو فراس الحمداني، ديوانه: 254.

(35) نفسه: 252.

(36) إسماعيل، التفسير النفسي للأدب: 82.

قائمة المصادر و المراجع:

- **القرآن الكريم.**

1) إسماعيل، عز الدين، التفسير النفسي للأدب، دار غريب للطباعة، القاهرة، د.ت.
2) إسماعيل، عز الدين، روح العصر - دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة، دار الرائد العربي، بيروت، 1972م.
3) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين. تحقيق: فوزي عطوي. دار صعب، بيروت، 1968م.

4) الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق: كاظم بحر المرجان دار الرشيد، بغداد، د.ت.
5) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، مؤسسة الحسني، الدار البيضاء، 2006م.
6) الحمداني، أبو فراس، ديوانه، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
7) دويدري، محمد هاشم، شرح التلخيص في علوم البلاغة، دار الجيل، بيروت، 1982م.
8) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد علي، وأبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، د.ت.
9) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
10) صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979م.
11) عبد اللطيف، محمد حماسة، البناء العروضي للقصيدة العربية، دار الشروق، القاهرة، 1999م.
12) العسكري، الصناعتين. تحقيق: علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1986م.
13) غنيم، كمال أحمد، عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت.
14) الغيضاوي، علي، الإحساس بالزمن في الشعر العربي من الأصول حتى نهاية القرن الثاني للهجرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة منوبة، تونس، 2001م.
15) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت، د.ت.
16) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005م.
17) القاضي، النعمان، أبو فراس الحمداني والتشكيل الجمالي. دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1982م.
18) القزويني، محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
19) ابن منظور، جمال الدين محمد، لسان العرب، دار عالم الكتب، مصر، 2003م.
20) أبو موسى، محمد بن محمد، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، 1996م.
21) ابن يعيش، موفق الدين بن يعيش بن علي، شرح المفصل، عالم الكتب، القاهرة، د.ت.

Arabic References:

- al-Qurʾān al-Karīm.

1) ʾIsmāʿīl, ʿIzzalddīn, al-Tafsīr al-Nafsī lil-ʾAdab, Dār Ġarīb lil-Ṭibāʿah, al-Qāhirah, N. D.
2) ʾIsmāʿīl, ʿIzzalddīn, Rūḥ al-ʿAṣr-Dirāsāt Naqdīyah fī al-Šiʿr & al-Masraḥ & al-Qiṣṣah, Dār al-Rāʾid al-ʿArabī, Bayrūt, 1972.

3) al-Ǧāḥiẓ, ʿAmr Ibn Baḥr, al-Bayān & al-Tabyīn. ed. Fawzī ʿAṭawī. Dār Ṣaʿb, Bayrūt, 1968.
4) al-Ǧurǧānī, ʿAbdalqāhir Ibn ʿAbdalraḥmān, al-Muqtaṣid fī Šarḥ al-Īḍāḥ, ed. Kāẓim Baḥr al-Marǧān Dār al-Rašīd, Baġdād, N. D.
5) al-Ǧurǧānī, ʿAlī Ibn Muḥammad, al-Taʿrīfāt, Mūʾassasat al-Ḥasanī, al-Dār al-Bayḍāʾ, 2006.
6) al-Ḥamdānī, ʾAbū Firās, Dīwānuh, Dār al-Kitāb al-ʿArabī, Bayrūt, N. D.
7) Dwaydarī, Muḥammad Hāšim, Šarḥ al-Talkhīṣ fī ʿUlūm al-Balāġah, Dār al-Ǧīl, Bayrūt, 1982.
8) al-Zarkašī, Badr al-Dīn Muḥammad Ibn ʿAbdallāh, al-Burhān fī ʿUlūm al-Qurʾān, ed. ʾAḥmad ʿAlī, & ʾAbī al-Faḍl al-Dimyāṭī, Dār al-Ḥadīṯ, al-Qāhirah, N. D.
9) al-Suīūṭī, Ǧalāl al-Dīn ʿAbdalraḥmān Ibn ʾAbī Bakr, Hamʿ al-Hawāmiʿ Šarḥ Ǧamʿ al-Ǧawāmiʿ fī ʿIlm al-ʿArabīyah, Dār al-Maʿrifah, Bayrūt, N. D.
10) Ṣalībā, Ǧamīl, al-Muʿǧam al-Falsafī, Dār al-Kitāb al-Lubnānī, Bayrūt, 1979.
11) ʿAbdallaṭīf, Muḥammad Ḥamāsah, al-Bināʾ al-ʿArūḍī lil-Qaṣīdah al-ʿArabīyah, Dār al-Šurūq, al-Qāhirah, 1999.
12) al-ʿAskarī, ʾAbū Hilāl, al-Ṣināʿatayn. ed. ʿAlī al-Baǧāwī, & Muḥammad ʾAbū al-Faḍl Ibrāhīm, al-Maktabah al-ʿAṣrīyah, Bayrūt, 1986.
13) Ġunaym, Kamāl ʾAḥmad, ʿAnāṣir al-ʾIbdāʿ al-Fannī fī Šiʿr ʾAḥmad Maṭar, Maktabat Madbūlī, al-Qāhirah, N. D.
14) al-Ġīḍāwī, ʿAlī, al-ʾIḥsās bi-al-Zaman fī al-Šiʿr al-ʿArabī min al-ʾUṣūl Ḥattá Nihāyat al-Qarn al-Ṯānī lil-Hiǧrah, Kullīyat al-Ādāb & al-ʿUlūm al-ʾInsānīyah, Ǧāmiʿat Manūbah, Tūnis, 2001.
15) Ibn Fāris, Aḥmad Ibn Fāris Ibn Zakarīyā, Maqāyīs al-Luġah, Dār al-Ǧīl, Bayrūt, N. D.
16) al-Fīrūzābādī, Muḥammad Ibn Yaʿqūb, al-Qāmūs al-Muḥīṭ, Muʾassasat al-Risālah, Bayrūt, 2005.
17) al-Qāḍī, al-Nuʿmān, ʾAbū Firās al-Ḥamdānī & al-Taškīl al-Ǧamālī. Dār al-Thaqāfah lil-Našr, al-Qāhirah, 1982.

مجلة علمية فصلية محكمة
الآداب
تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
(EISSN: 2708-5783 ISSN: 2707-5508)

18) al-Qazwīnī, Muḥammad Ibn ʿAbdalraḥmān, al-ʾĪḍāḥ fī ʿUlūm al-Balāġah al-Maʿānī & al-Bayān & al-Badīʿ, ed. Ibrāhīm Šams al-Dīn, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 2003.

19) Ibn Manẓūr, Ǧamāl al-Dīn Muḥammad, Lisān al-ʿArab, Dār ʿĀlam al-Kutub, Miṣr, 2003.

20) ʾAbū Mūsá, Muḥammad Ibn Muḥammad, Khaṣāʾiṣ al-Tarākīb dirāsah taḥlīlīyah li-Masāʾil ʿIlm al-Maʿānī, Maktabat Wahbah, al-Qāhirah, 1996.

21) Ibn Yaʿīš, Muwaffaq al-Dīn Ibn Yaʿīš Ibn ʿAlī, Šarḥ al-Mufaṣṣal, ʿĀlam al-Kutub, al-Qāhirah, N. D.